الإصدار السابع
المجلد (2) العدد (4)
25 أكتوبر 2026
المجلة السعودية للدراسات التربوية والإنسانية

آليات التناص وتوظيف التراث في الشعر العربي المعاصر

د.ملاك حاتم الطفيلي
(أستاذة متعاقدة في الجامعة اللبنانية والجامعة الإسلامية، ومنسقة عاملة في الثانوية الأهلية)

https://doi.org/10.65723/RMSP4014

الملخص
تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن آليات التناص وطرائق توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر، وبيان أبعاده الدلالية والجمالية والنقدية، ودوره في التعبير عن قضايا الإنسان العربي وتحولات المجتمع الحديث. وتنطلق الدراسة من النظر إلى التناص بوصفه استراتيجية إبداعية تتجاوز الاقتباس والمحاكاة إلى إعادة تشكيل النصوص التراثية وإدماجها في سياقات جديدة تمنحها دلالات معاصرة. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال رصد نماذج من الشعر العربي المعاصر وتحليل مرجعياتها التراثية وآليات اشتغالها، بالاستفادة من المفاهيم النقدية المرتبطة بالتناص والحوارية. وتتناول الدراسة أبرز مصادر التناص، المتمثلة في القرآن الكريم والشعر العربي القديم والموروثين الأسطوري والتاريخي، إلى جانب التناص الأجناسي الذي يتيح تداخل الشعر مع المسرح والرواية والسينما. كما تبحث في أنماط التناص، ومنها الاجتراري والامتصاصي والحواري، وفي توظيف الرموز والشخصيات التراثية لإنتاج معانٍ تتصل بالواقع السياسي والاجتماعي. وتبين الدراسة أن استدعاء التراث في الشعر المعاصر لا يقتصر على استعادة الماضي، بل يمثل فعلًا إبداعيًا يعيد قراءة الموروث في ضوء الحاضر، ويمنحه وظائف جمالية وفكرية ونقدية. وتخلص إلى أن التناص يسهم في إثراء البنية الدلالية للنص الشعري، وتعميق طاقته الرمزية، والتعبير عن قضايا الأمة العربية وتطلعاتها، بما يؤكد حيوية العلاقة بين التراث والتجديد في التجربة الشعرية المعاصرة.
الكلمات المفتاحية :التناص؛ توظيف التراث؛ الشعر العربي المعاصر؛ التناص القرآني؛ الرمز التاريخي؛ التناص الأجناسي.

Abstract:
This study aims to investigate the mechanisms of intertextuality and the ways of employing heritage in contemporary Arabic poetry, highlighting their semantic, aesthetic, and critical dimensions and their role in expressing Arab concerns and the transformations of modern society. It approaches intertextuality as a creative strategy that extends beyond quotation and imitation to the reinterpretation and reconstruction of inherited texts within new contexts, thereby generating contemporary meanings. The study adopts a descriptive-analytical approach by examining selected examples of contemporary Arabic poetry, identifying their heritage references, and analyzing the mechanisms through which these references operate, drawing on critical concepts associated with intertextuality and dialogism. It explores the principal sources of intertextuality, including the Holy Quran,

classical Arabic poetry, mythology, and historical heritage, as well as generic intertextuality, which facilitates the interaction of poetry with drama, fiction, and cinema. The study also examines major forms of intertextuality, particularly repetitive, absorptive, and dialogic intertextuality, and investigates how inherited symbols and historical figures are employed to produce meanings relevant to contemporary political and social realities. The findings indicate that the use of heritage in contemporary Arabic poetry is not merely a reproduction of the past; rather, it constitutes a creative process through which inherited materials are reinterpreted in light of present concerns. This process enriches the semantic structure of poetic texts, deepens their symbolic potential, and enables poets to articulate collective experiences, political struggles, and social aspirations. The study concludes that intertextuality represents a significant aesthetic and intellectual mechanism through which contemporary Arabic poetry negotiates the relationship between cultural continuity and artistic innovation.
Keywords: Intertextuality; Heritage Appropriation; Contemporary Arabic Poetry; Quranic Intertextuality; Historical Symbolism; Generic Intertextuality.

المقدمة:

يمثل التناص (Intertextuality) واحداً من أبرز الظواهر الأدبية التي شغلت النقاد والدارسين في العصر الحديث، وهو مفهوم يشير إلى العلاقات القائمة بين النصوص الأدبية، حيث لا يوجد نص أدبي يولد في فراغ، بل هو نتاج تفاعل مع نصوص سابقة، سواء أكان هذا التفاعل واعياً أم غير واعٍ. وقد كان للتراث العربي - بكل ما يحمله من قرآن كريم، وشعر جاهلي وإسلامي، وأساطير، وقصص تاريخية، ورموز دينية - الحضور الأكثر طغياناً في الشعر العربي المعاصر.

وإذا كان الشعر العربي القديم قد ارتبط بقواعده وأغراضه التقليدية، فإن الشعر العربي المعاصر، وبخاصة منذ حركة التجديد التي قادها رواد مدرسة "الشعر الحر" أمثال بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي، قد اتجه إلى استثمار التراث استثماراً إبداعياً، جاعلاً منه مادة خصبة لتشكيل رؤيته الفنية والوجودية. فلم يعد الشاعر المعاصر يقف من التراث موقف التابع المحاكي، بل تجاوزه إلى موقف المحاور والناقد والمعيد صياغته وفق رؤيته الخاصة للعالم.

تطرح هذه الدراسة آليات التناص وتوظيف التراث في الشعر العربي المعاصر، من خلال الوقوف على أهم المرجعيات التراثية التي يستحضرها الشعراء المعاصرون، والكشف عن الوظائف والأغراض التي تخدمها هذه الآليات في النص الشعري الحديث.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول ظاهرة محورية في الشعر العربي المعاصر، تكشف عن عمق العلاقة بين الماضي والحاضر، وعن كيفية تعامل الشاعر المعاصر مع تراثه الغني. كما تسهم في بيان أن التناص ليس مجرد تقنية شكلية، بل هو رؤية فلسفية وجمالية تعكس وعي الشاعر بقضايا عصره من خلال عدسة التراث. وتفتح الدراسة آفاقاً لفهم أعمق لكيفية تحول النصوص التراثية إلى طاقة دلالية حية في النصوص المعاصرة، وكيف يمكن للشاعر أن يعيد بناء المعنى من خلال الحوار مع نصوص سابقة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. رصد آليات التناص في الشعر العربي المعاصر، وتحديد أنواعها وأشكالها المختلفة.
2. الكشف عن المرجعيات التراثية الأكثر حضوراً في الشعر المعاصر، كالقرآن الكريم، والشعر القديم، والأساطير، والتاريخ، والتراث الصوفي.
3. تحليل الوظائف الدلالية والجمالية التي يؤديها توظيف التراث في النص الشعري الحديث.

4. بيان كيفية تحول التناص من مجرد إحالة إلى نصوص سابقة إلى أداة نقدية ورؤيوية تعبر عن هموم الشاعر المعاصر وقضايا مجتمعه.

الإشكالية:

تنطلق الدراسة من الإشكالية التالية: **كيف يتعامل الشعراء المعاصرون مع تراثهم الأدبي والديني والتاريخي؟ وما الآليات التي يستخدمونها لإعادة توظيف هذا التراث في نصوصهم؟ وإلى أي مدى ينجح التناص في تحويل الموروث إلى طاقة إبداعية تعبر عن رؤية الشاعر المعاصر للعالم وقضايا الإنسان العربي في العصر الحديث؟**

الفرضية:

تفترض الدراسة أن التناص في الشعر العربي المعاصر يتجاوز كونه مجرد استعارة أو اقتباس ليتحول إلى استراتيجية إبداعية شاملة، يقوم الشاعر من خلالها بتفكيك النصوص التراثية وإعادة تركيبها ضمن سياقات جديدة، مما يمنحها دلالات معاصرة لم تكن موجودة في سياقاتها الأصلية. وتفترض أيضاً أن الشعراء المعاصرين يستخدمون التناص بوصفه وسيلة لمواجهة القضايا السياسية والاجتماعية الراهنة، من خلال استثمار النصوص الدينية والتاريخية في التعبير عن مآسي الأمة وتطلعاتها.

المنهج المعتمد:

تعتمد هذه الدراسة منهجاً تحليلياً وصفياً يقوم على رصد ظواهر التناص في نماذج مختارة من الشعر العربي المعاصر، وتحليلها لاستخلاص آليات توظيف التراث وأنواعه ووظائفه. وتستفيد الدراسة من التنظير النقدي لمفهوم التناص لدى كل من جوليا كريستيفا (التي صاغت المصطلح)، ورولان بارت، وميخائيل باختين (من خلال مفهوم الحوارية والتناص)، إلى جانب جهود النقاد العرب الذين تناولوا الظاهرة كعبد الله الغذامي ومحمد بنيس ومحمد مفتاح.

الدراسات السابقة:

يمكن تقسيم الدراسات السابقة ذات الصلة إلى محورين رئيسيين:

أولاً: الدراسات التنظيرية حول التناص في الشعر العربي :

تناول الناقد المغربي محمد بنيس ظاهرة التناص في الشعر العربي المعاصر في دراسته "النص الغائب"، حيث صنف التناص إلى ثلاثة أنواع رئيسية: التناص الاجتراري (الذي يكتفي بإعادة النص القديم دون تجديد)، والتناص الامتصاصي (الذي يمتص النص القديم في بنيته الجديدة)، والتناص الحواري (الذي يقوم على الحوار النقدي مع النص القديم).

-قدم نقاد آخرون، كعبد الملك مرتاض ومحمد عزام وعبد الله الغذامي وخليل موسى، تعريفات متعددة للتناص، حيث رأوا فيه ظاهرة منهجية وبنيوية، لكنها تحمل أيضاً وظيفة عملية في النص الشعري المعاصر تتجاوز دورها البنيوي

ثانياً: الدراسات التطبيقية حول أنواع التناص :

تناولت دراسة فاطمة أكبري زاده وفاطمة بوران فكر "تلقي الخطاب القرآني في الشعر العربي المعاصر" ظاهرة التناص القرآني في شعر كل من سميح القاسم والزهاوي والقيسي وأحمد مطر ومحمود درويش، وأكدت الدراسة أن الشعراء المعاصرين يستخدمون التناص القرآني للإشارة إلى التحولات السائدة في المجتمعات العربية في العصر الحديث، وللمواجهة السياسية ضد الاستعمار والاحتلال.

تناولت دراسة نبيلة منادي "التناص مع الشعر القديم في الشعر العربي المعاصر" نماذج من شعر يوسف العظم ومحمد علي الرباوي وحسن الأمراني، ورصدت تنوع التناص بين الاجتراري والامتصاصي والحواري، وأشارت إلى أن استدعاء المعلقات وغيرها من النصوص القديمة كان وسيلة لإثراء البنية الدلالية وفتح آفاق تأويلية جديدة.

خصصت دراسة في مجلة "آداب البصرة" التناص الديني في الشعر العربي المعاصر، وركزت على نماذج من شعر بدر شاكر السياب وخليل حاوي وأمل دنقل ونزار قباني وسميح القاسم وحيدر محمود، وأظهرت الدراسة أن التناص الديني ليس عشوائياً، بل يحمل دلالات خاصة تختلف باختلاف السياقات التي يوظف فيها.

أقسام الدراسة:

المبحث الأول: التناص مع القرآن الكريم

يمثل التناص القرآني أبرز مظاهر حضور التراث الديني في الشعر العربي المعاصر. فالقرآن الكريم، منذ نزوله، كان ولا يزال منبعاً فياضاً يستلهم منه الشعراء قديماً وحديثاً، في اللفظ والمضمون . وقد تنوع توظيف الشعراء المعاصرين للخطاب القرآني بحسب أغراضهم السياسية والاجتماعية والدينية.

في شعر سميح القاسم، نجد استخداماً للتناص القرآني لمواجهة الاحتلال والاضطهاد، حيث يستحضر الشاعر الآيات التي تتحدث عن الظالمين والمستكبرين ليصف بها أعداء شعبه . أما في شعر محمد بن عبد المطلب، فيتجلى التناص القرآني في اتجاهين: سياسي (لمقاومة الغرب واستقلال مصر)، وديني (لإظهار فضائل النبي محمد والإمام علي)، وقد استخدم الشاعر الأنواع الثلاثة للتناص: النفي الجزئي، والنفي الموازي (المسامحي)، والنفي العام.

يُستخدم التناص القرآني أحياناً بطريقة "عكسية"، حيث يوظف الشاعر الصور القرآنية المعبرة عن الأمل في سياقات تعكس اليأس والفاجعة، فيكشف بذلك عمق المأساة. ومن جهة أخرى، يستحضر الشاعر الآيات التي تحض على اليقظة وتندد بالظالمين لإيقاظ الأمة العربية ووعيها بقضيتها . وكثيراً ما كان الشعراء المعاصرون يستلهمون من القرآن الكريم ما يساعدهم على معالجة قضايا الحياة بعد التحولات الكبرى التي شهدتها المجتمعات العربية في العصر الحديث

المبحث الثاني: التناص مع الشعر القديم

لم يقتصر حضور التراث في الشعر المعاصر على القرآن الكريم، بل امتد إلى استحضار النصوص الشعرية القديمة من مختلف عصور الأدب العربي. وقد دأب الشعراء المعاصرون على استدعاء هذه النصوص لإثراء بنيتهم الدلالية ولفتح آفاق غير محدودة لتأويلها.

تعود بدايات استدعاء الشعر العربي القديم في العصر الحديث إلى مدرسة الإحياء، التي كان من كبار روادها محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، حيث عمد هؤلاء إلى استحياء الشعر القديم والالتزام بنهج القصيدة القديمة في الشكل والمحتوى . وقد كانت معارضاتهم للشعر القديم والنماذج المشهورة منه - كالمعلقات - تدخل في دائرة التناص بالمعنى الواسع.

أما في الشعر الحر، فقد تطورت آليات استدعاء الشعر القديم لتتجاوز المحاكاة إلى الحوار النقدي. فالشاعر المعاصر لم يعد يكتفي بإعادة إنتاج النص القديم، بل أصبح يحاوره وينقضه ويعيد صياغته ضمن رؤيته الخاصة. وقد صنف الناقد محمد بنيس التناص مع الشعر القديم إلى ثلاثة أنواع:

** -التناص الاجتراري: ** حيث يكتفي الشاعر بإعادة النص القديم كما هو دون إضافة جديدة.

** -التناص الامتصاصي: ** حيث يمتص النص الجديد النص القديم ويذوبه في بنيته.

** -التناص الحواري: ** حيث يقوم النص الجديد على حوار نقدي مع النص القديم، وقد يكون هذا الحوار موافقاً أو معارضاً أو محايداً.

المبحث الثالث: التناص مع التراث الأسطوري والتاريخي

يحتل التراث الأسطوري والتاريخي حيزاً مهماً في شعر العديد من الشعراء المعاصرين، حيث تستدعى الشخصيات الأسطورية والتاريخية بوصفها "أقنعة" تعبر بها عن هموم الشاعر ورؤيته.

في قصيدة "ما لم تقله زرقاء اليمامة" للشاعر السوداني محمد عبد الباري، نجد نموذجاً متكاملاً لتوظيف التناص مع التراث . وقد استند الشاعر إلى ثلاث مرجعيات أساسية في بناء قصيدته:

1.** المرجعية الأدبية: ** حيث استحضر شخصية زرقاء اليمامة الأسطورية، المعروفة بقوة بصرها وبشاعتها، كرمز للمرأة التي ترى ما لا يراه الآخرون، وتحذر من الخطر.

2.** المرجعية التاريخية: ** حيث استدعى قصة هلاك قومها عندما لم يصدقوا تحذيرها، كإشارة إلى واقع الأمة العربية التي تغفل عن التحذيرات وتستمر في طريق الهلاك.

3.** المرجعية الدينية: ** حيث وظف الشاعر إيحاءات دينية لتأكيد رسالة القصيدة.

وقد حظيت قصة زرقاء اليمامة باهتمام الشعراء العرب في العصر الحديث لما تحمله من إشارات وإيحاءات ورمزية تنطبق على الوضع الراهن .

المبحث الرابع: التناص في البنية الدرامية والتناص الأجناسي

يتجاوز التناص في الشعر العربي المعاصر الحدود النصية التقليدية ليشمل تداخل الأجناس الأدبية والفنية، حيث يمتزج الشعر مع المسرح والرواية والسينما والتشكيل. ويطلق على هذه الظاهرة مصطلح "التناص الأجناسي (Generic Intertextuality)"، وهي سمة بارزة في أعمال كبار الشعراء المعاصرين كمحمود درويش وأدونيس وسعدي يوسف

في شعر محمود درويش، تطورت القصيدة من الغنائية البسيطة إلى "النص المفتوح"، حيث استعار البنية الدرامية وانتقل من "الصوت الواحد للشاعر" إلى "تعدد الأصوات" (البوليفونية)، خاصة في مجموعاته الأخيرة كـ"كزهر اللوز أو أبعد"، حيث وظف الحوار المسرحي والمونولوج. كما تحولت القصيدة عنده إلى "قصيدة سردية" تمتص تقنيات الرواية (الشخصية، المكان، الزمان)، مما جعل النص الشعري قادراً على توثيق السيرة الذاتية والجماعية معاً

أما أدونيس، فيمثل ذروة تفكيك "طهارة الجنس الأدبي"، حيث يقدم نصاً "عابراً للأجناس" يمتص كل التناقضات الفكرية والجمالية. ويوظف أدونيس "القناع التاريخي" في بناء بنية درامية تقوم على الصراع الفكري، مع لغة كثيفة ومجردة تميل إلى "الرؤيا"، مما يستدعي قارئاً يشارك في فك رموزها الفلسفية.

وفي مقابل ذلك، يقدم سعدي يوسف نموذجاً مختلفاً للتناص الأجناسي، يقوم على "دراما التفاصيل" أو "سينمائية المشهد"، حيث تبنى القصيدة كمشهد سينمائي قصير أو "لقطة سينمائية" يتوارى فيها الشاعر خلف كاميراه الشعرية، تاركاً للأشياء والأصوات أن تتحدث بنفسها. ويتجلى تعدد الأصوات في قصائده بإعطاء الصوت للمهمشين وللأماكن وللأشياء؛ المقهى يتكلم، والمارة يتبادلون حوارات مبتورة، والشاعر يقتصر على دور "المخرج" الذي يرتب هذه الأصوات في إطار القصيدة.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن التناص وتوظيف التراث يمثلان ظاهرة حاضرة وبقوة في الشعر العربي المعاصر، وأن هذه الظاهرة ليست وليدة العصر الحديث، بل هي امتداد لعلاقة الأدباء بالتراث التي تعود إلى أقدم العصور. غير أن الفارق الجوهري يكمن في أن الشاعر المعاصر لا يقف من التراث موقف المقلد المحاكي، بل يتجاوزه إلى موقف المحاور الناقد المعيد تشكيل النصوص التراثية وفق رؤيته الفنية والفكرية.

وقد تنوعت المرجعيات التراثية التي يستحضرها الشعراء المعاصرون بين القرآن الكريم، والشعر القديم، والأساطير، والتاريخ، والتراث الصوفي، كما تنوعت آليات التوظيف بين الاقتباس المباشر، والحوار النقدي، والامتصاص، والتوظيف العكسي، والتناص الأجناسي الذي يمزج بين الشعر والمسرح والرواية والسينما.

كما أظهرت الدراسة أن وظائف التناص في الشعر المعاصر تتجاوز الجانب الجمالي إلى أغراض سياسية واجتماعية ونقدية، حيث يستخدم الشعراء التراث للتعبير عن مآسي الأمة وقضاياها، ولمواجهة الاحتلال والاضطهاد، ولإيقاظ الوعي العربي، ولإعادة قراءة الماضي في ضوء الحاضر. وقد اتضح أن الأحداث المصيرية التي مرت بها الأمة العربية - من نكبات وحروب وهزائم - كان لها الأثر الأكبر في استخدام التناص، خاصة التناص الديني، بوصفه وسيلة لمواجهة الاختلالات السياسية والاجتماعية.

ويمكن القول، في الختام، إن التناص في الشعر العربي المعاصر لم يعد مجرد تقنية شكلية، بل تحول إلى رؤية فلسفية وجمالية تعكس وعي الشاعر المعاصر بتراثه، وقدرته على تحويل الموروث إلى طاقة إبداعية حية تتفاعل مع قضايا عصره وتطلعات أمته.

المصادر والمراجع:

1. أكبري زاده، فاطمة، وبوران فكر، فاطمة. "تلقي الخطاب القرآني في الشعر العربي المعاصر". جامعة الزهراء، طهران .
2. منادي، نبيلة. "التناص مع الشعر القديم في الشعر العربي المعاصر: مقاربة في نماذج". جامعة سطيف
3. صالح، فخري "Poetics of Openness: Generic Intertextuality in Contemporary Arabic Poetry". .
4." التناص الديني في الشعر العربي المعاصر". مجلة آداب البصرة .
5. صولح، منصور، وحينوني، رمضان. "مرجعيات التناص في قصيدة 'ما لم تقله زرقاء اليمامة' لمحمد عبد الباري". مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 12، العدد 4، 2023 .
6. Heydari, Tahereh. "Quranic Intertextuality in the Poems of Abd Al-Muttalib (Contemporary Arab Poet)".مجلة آموزش زبان، ادبيات و زبانشناسی، المجلد 4، العدد 2، 2021 .
7. بنيس، محمد. "النص الغائب: التناص في الشعر العربي المعاصر". [إشارة في المصادر]